يمثل عام 2018 الذكرى السنوية الثمانين لما تُدعى "ليلة البلور"، وهي الليلة التي أرتكبت فيها مذابح وأعمال عنف في 10 نوفمبر 1938.

وترجع 85 عامًا للوراء لتذكرنا بيوم 10 مايو 1933 الذي حرقت فيه الكُتب في برلين، ولاحقًا في أماكن أخرى مثل ماينتس يوم 23 يونيو من نفس العام.

وصف سيباستيان هافنر في ذكرياته التي نُشرت بعد وفاته ماهية المسرح السياسي الأدبي وكيف كان يبدو في سنوات حكم النظام الاشتراكي الوطني النازي الاستبدادي: "قصة ألماني":

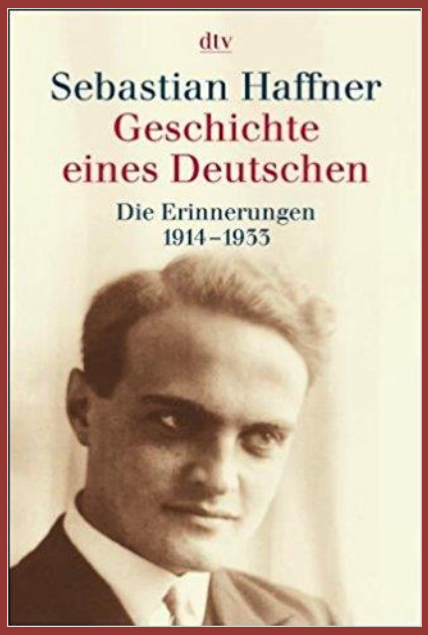

بالتأكيد لم تغفل هذه الذكريات عن توجيه عتابًا لنا بسبب ما بدر منا من افتقارنا للخبرة في التعامل مع خشيتنا للموت والشعور بالوقوع تحت رحمة قوة أعظم لا حول لنا ولا قوة أمامها، فلم نجد ملاذًا إلا في قدرة البشر على العيش في يوتوبيا خيالية لا نسمح لأحد بأن يزعجنا فيها ونحن نتنعم بها. أعتقد أن زوجين شابين قبل مائة عام كانا ليتمكنا من فعل شيء أفضل من ذلك - ولتكن مثلاً ليلة حب تجمعهما، ولكنها كانت محفوفة بالمخاطر والضياع. فلم نتمكن من فعل شيء محدد، لذا ذهبنا إلى المسرح لأنه كان مسموحًا به ولم يعترض أحدٌ طريقنا: أولاً لأننا كنا سنفعل ذلك على أية حال، ثانيًا حتى نشتت أذهاننا قدر الإمكان عن التفكير في كل ما هو سيء ومزعج. قد يبدو ذلك بدم بارد وعلامة على عدم الخوف، ولكنه ربما يكون علامة على ضعف معين في الشعور وتبين أننا لم نصل وقتها إلى نقطة الذروة في الحالة الشعورية، حتى إن كنا لا نعرف سوى المعاناة. إن جاز لي التعميم في هذا المقام، فإن من أكثر الأشياء شؤمًا في وقوع حدثٍ جديد في ألمانيا هو غياب الفاعل عن أداء الفعل، والشهيد للبكاء على ما فقده، وأن يبدو كل شيء على هيئة نصف مخدر ممزوج بمادة مشاعر مخففة في مقابل فعل فاحش؛ وأن تُرتكب جرائم بدافع مزاجي من ألعوبة طفل سخيفة دون حساب عواقبها، وأن يُقبل التذلل ويُرضخ للموت المعنوي باعتبارها حالة صغيرة عَارضة، وأن الموت بالتعذيب النفسي ما هو إلا "سوء حظ". وقد تم مكافأتنا في هذا اليوم على كسلنا وخمولنا، وذلك لأنه الصدفة قادتنا إلى اكتشاف سراديب الموتى وكان ذلك المغامرة الثانية الرائعة في هذا المساء. وذهبنا إلى المكان العام الوحيد في ألمانيا حيث يوجد شكل من أشكال المعارضة والشجاعة والفكاهة والأناقة. في الصباح شاهدت بنفسي كيف انهارت المحكمة الإقليمية العليا في بروسيا، بتقاليدها التي تمتد إلى عدة قرون مضت، بطريقة لا تُحسد عليها أمام النازيين. ومساءً كنت أشاهد كيف كان يحاول عدد قليل من ممثلي المسارح الصغيرة في برلين أن يحافظوا على الشرف بكل عزة ورشاقة ودون الوقوع تحت تأثير التقاليد القديمة. فسقطت المحكمة الإقليمية العليا. وظلت سراديب الموتى كما هي.

الرجل الذي حمل لواء مجموعة من الممثلين وقادهم إلى النصر - نظرًا لأن الحفاظ على الثبات والاستقرار في ظل بطش قوة عظمة تهدد بالقتل يُعد نوعًا من أنواع النصر - هذا الرجل كان فيرنر فينك، فقد كان له دورًا مميزًا ومهمًا دون شك في تسطير تاريخ الرايخ الثالث - وقد كان أحد الأدوار الشرفية المهمة. لم يكن يبدو مثل البطل، ولكنه كاد أن يصبح بطلاً، ولكن سبقه بشكل غير مرغوب إلى الظفر بهذا اللقب. حيث إنه لم يكن ممثلاً ثوريًا، ولم يكن مستهزءاً لاذعاً، ولم يكن فارسًا مغوارًا.

بل كان يحمل في داخله السلم والحب والود. فقد كانت نكاته لطيفة وراقصة ومحلقة؛ وكانت أداته الرئيسية تكمن في ازدواجية المعاني واللعب بالألفاظ، وهو الشيء الذي أصبح بارعًا فيه تدريجيًا بمرور الوقت. واخترع شيئًا يُسمى "النكتة الخفية" وقد كان يحاول تسخير طاقاته وإمكاناته في جعل نكاته دائمًا خفية. ولكنه لم يستطع إخفاء نهجه وطريقة تفكيره. وفي النهاية ظل ملاذًا للحب والود والسكينة في بلدٍ كانت هذه الصفات فيها في قائمة الإبادة. وفي الحب والود والسكينة التي كان يتبناهم كانت تكمن شجاعة حقيقية صلبة تظهر على شكل "نكات خفية". فقد كان يملك الشجاعة في التحدث عن حقيقة النازيين - وذلك في قلب ألمانيا! وكان يتحدث في جلساته دائمًا عن المعتقلات وتفتيش المنازل، والقلق العام، والكذب العام؛ فقد كانت سخريته من هذا كله تأتي في صورة خفية وشجية وحزينة ومع ذلك كان عزاؤه قويًا وغير اعتيادي.

وربما كانت ليلة يوم 31 مارس 1933 ليلته الكبرى. في تلك الليلة كان المنزل مكتظًا بأشخاص كانوا في اليوم الذي تلي هذه الليلة مثل أُناس يُحملقون في هاوية كبيرة. فجعلهم فينك يضحكون بصورة لم أرَ فيها جمهورًا يضحك بهذا الشكل. فقد كان الضحك مثيرًا للشفقة، وكان بمثابة تحدٍ جديد وُلد من رحم هذا الضحك وخلَّف وراءه التخدير واليأس والإحباط، وساعد الخطر المحدق بهؤلاء الأشخاص على تأجيج شعلة هذا الضحك - ألم يكن الأمر أشبه بمعجزة أن كتيبة العاصفة النازية (SA) لم تأتِ منذ فترة طويلة للمنزل لاعتقال كل من فيه؟! ربما كنا سنستكمل ضحكنا في هذه الليلة على خشبة مسرح "السيارة الخضراء" (بالألمانية: Grüner Wagen). لقد كنا نتأرجح على أوتار الخطر والخوف.